مظاهر البنية الكبرى في علوم القرآن وتفسيره

م.م عبد الخالق فرحان شاهين
تربية النجف – الإشراف الاختصاصي
abdalkhaliq646@gmail.com

أ.م.د. عادل عبد الجبار زاير
جامعة الكوفة ـ كلية الآداب – قسم اللغة العربية
adel.alkaabi@uokufa.edu.iq

The Major Structure's Aspects in the sciences of Qur'an and its interpretation

Asst. Lecturer. Abdul-Khaliqh Ferhan Shaheen

Asst. Prof. Dr. Adil Abdul-Jabbar Zayer
University of Kufa – College of Arts – Department of Arabic Language

الملخّص:

تتسم البنية الدلالية الكبرى بدرجة قصوى من الانسجام أو الترابط الدلالي "Coherence" وهي على قسمين هما: البنية الكبرى العامّة الشاملة للنص كلِّه, والبنية الكبرى الخاصّة بأجزاء أو مقاطع من النص, ويمكن تسميتها البنية الكبرى الجزئية ؛ والأبنية الكبرى ترتبط – أساساً – بالموضوع الكلِّي للنص, وأنَّها تتسم بالنسبية من جهة تعدد مستوياتها وتدرّجها في النص الواحد, وتتسم بعلاقة كل بنية جزئية بما يسبقها, وبما يليها لتحقق التماسك الكلي أو الترابط الدلالي في النص ؛ وثمة مفهوم يتعلق بالبنية الكبرى هو موضوع النص, أو موضوع الخطاب, ويمكن تلمّس بعض مظاهر البنية الكبرى في كتب علوم القرآن وتفسيره في حديثها حول معاني القرآن الكريم, سواء أكانت معانيه العامة على امتداد القرآن من أوله إلى آخره ؛ أم معانيه الجزئية التي قد تكون في حدود آية أو أكثر, أو في حدود سورة أو أكثر من سورة.

الكلمات المفتاحية : البنية الكبرى العامة, البنية الكبرى الجزئية, موضوع النص, علوم القرآن, تفسير القرآن.

Abstract:

The major semantic structure is characterized by a maximum degree of harmony or semantic coherence, and it is divided into two parts: the general structure that covers the whole text, and the private major structure that relates parts or sections of the text, and could be called the partial major structure. The major structures are basically related to the text overall theme. They characterized by relativism in terms of the multiplicity of its levels and its progress in a single text. Moreover, they are characterized by the relationship of each partial structure to what precedes it and what follows it to achieve total semantic coherence or the collocation in the text.

There is a concept related to the major structure; it is the text subject, or the subject of the discourse. Some of the major structure aspects can be found in the books of the sciences of Qur'an and its interpretation within their conversation about the meanings of the Holy Qur'an, whether its general meanings, throughout the beginning to the end of the holy Qur'an, or its partial

meanings within a single, or more, verse, or within a single, or more, sura.

Key words: the general major structure, the partial major structure, the subject of the text, the sciences of the Qur'an, the interpretation of the Qur'an.

المقدمة:

تعاملت البنيويّة مع النص اللغوي بطريقة التدرج – بدءاً – من أصغر العناصر التي ليس لها معنى, أي: الفونيمات, ثم انتقلت إلى رصد تجميع هذه العناصر في وحدات ذات معنى, أي: الكلمات, وهي أصغر الوحدات اللغويّة ذات الدلالة, ثم انتقلت إلى النسق الأصغر أي: الجملة, فأصبحت الوحدات جزءاً من نسق دالّ لتكتسب دلالتها من علاقاتها مع الوحدات الأخرى داخل النسق الأصغر, ثم انتقلت إلى مرحلة تالية هي أكثر تركيباً وتعقيداً, هي ربط الجمل – الأنساق الصغرى – وتجميعها داخل نسق أكبر هو (النص) [١].

وتعامل علم اللغة النصّي مع النص اللغوي – بدءاً – على أنَّه ((سلسلة من الجمل, وستسمى مثل هذه السلسلة التتابع, ويكون مثل هذا التتابع منظماً)) [٢], ولكي يكون منظماً لابدَّ ((أنْ تلتزم التتابعات قيود الترابط الأفقي)) [٣], ((فللنص مظهر يتمثل في العلاقات الأفقية التي تؤدي إلى ترابط الأبنية فيه)) [٤], ((ولكي تكتسب التتابعات الجملية صفة النصيّة – أي تصبح تتابعات نصيّة أو نصّاً – لا يكفي ما بينهما من ترابط أفقي مباشر)) [٥] ؛ ((لأنّ هذا المستوى الأخير لا يقدّم سوى الأبنية الصغرى)) [٦], و((بوسعنا أنْ نطلق الأبنية الصغرى " Micro - structure" على أبنية المتتاليات والأجزاء للتمييز بينها وبين الأبنية النصّية الكبرى)) [٧]؛ والبنية الكبرى دلالية تختزل موضوع النص, أو معناه الكلي, وقد تطرَّقت كتب علوم القرآن وتفسيره إلى بعض المظاهر التي تستدعي مفهوم البنية الكبرى المتضمّنة لصورةٍ من صور الترابطات المعنويّة أو الدلالية التي تقود إلى ومضةٍ من ومضات ((ارتباط آي القرآن بعضها

ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسـقة المعاني منتظمة المباني))[٨], لتكون محل اهتمام في هذا البحث.

1. البنية الكبرى

قدَّم "فان دايك" وسـائل إجرائية غايتها الكشـف عن الدلالة العامَّة أو الكليَّة للنص – هي: البنية العليا والبنية الكبرى والبنية الصـغرى والتغريض – يقوم بها محلّلُ النص للوصـول إلى دلالته الكليّة, هي وسـائل ((مختلفة متعلقة بنظرية النص يوجهها بصـورة ما النحو التوليدي التحويلي بتفرقة بين بنية سـطحية, وبنية عميقة)) [٩], ومن تلك الوسـائل البنية الكبرى, التي هي بنية دلالية تختص بالمضمون الإجمالي للنص[١٠] .

وفي الأبنية الكبرى لن يكون الاهتمام ((في المقام الأول بأوجه الربط بين جمل متفرقة وقضـاياها, بل بأوجه الترابط التي ترتكز على النص بوصـفه كلّاً, أو على كل حال بالوحدات الكبرى للنصّ, ونطلق على هـذه الأبنيـة النصـيّـة العـامـة الأبنيـة الكبرى "Macro-structure"))[١١], والتحليل النصـي- كما أشـار بعض الباحثين – ((يبدأ من البنية الكبرى المتحققة بالفعل, وهي تتسم بدرجة قصوى من الانسجام, والتماسك "Coherence")) [١٢].

2.1. مستويات البنية الكبرى

أشـار "فان دايك" إلى مسـتويين من البنية الكبرى ضـمن نص واحد إذ قال: ((نطلق على البنيـة الكبرى الأعم الأعلى في النص الكلِّي ببسـاطـة: البنيـة الكبرى للنص ؛ على حين يكون لأجزاء نصـيّة معينة أبنيتها الكبرى الخاصـة بها, ونتيجة لذلك تتشـكل بنية متدرجة ممكنة للأبنية الكبرى على مسـتويات متباينة)) [١٣], ويفهم من ذلك أنَّ ثمة مسـتويين للبنية الكبرى في النص – ولاسيَّما في النصـوص الطويلة – هما: المسـتوى الأكبر ويتمثل في البنية الكبرى العامة الشـاملة للنص الكلّي, ويمكن تسـميتها البنية الكبرى الكليّة, والمسـتوى الأصـغر ويتمثل في البنية الكبرى الخاصـة بأجزاء أو مقاطع من النص الكلي, ويمكن تسـميتها البنية الكبرى الجزئية ؛ ومما يعزز تقسـيم البنية الكبرى – في النصـوص الطويلة بخاصـة – على مسـتويين, هو قول "فان دايك" بإمكانية أنْ ((يكون المستوى الأصغر مساوياً للمستوى الأكبر ويكون ذلك – تقريباً – حين يتكون نص ما من جمل قليلة فقط, أو من جملة واحدة)) [١٤].

3.1. البنية الكبرى / موضوع النص

يقول "فان دايك" ((إنَّ أحد المصطلحات التي يجب أنْ تجليها الأبنية الكبرى هو مصطلح موضوع نص ما, أو موضوع الخطاب "Topic of discourse", أو موضوع الحوار "Topic of coversaion" ؛ يجب أنْ نتعمق في القدرة الفعلية لمستخدم اللغة التي تمكنه من أنْ يجيب عن أسئلة في نصوص طويلة جدّاً ومعقّدة مثل عمَّ كان الحديث؟ ماذا كان موضوع الحديث؟ وما أشبه)) [١٥], و((يتضح من ذلك أنَّ البنية الكبرى للنص ترتبط بموضوعه الكلي))[١٦].

((إنَّ هذه الأبنية الكبرى ترتبط أساساً بالموضوع الكلي للنص, كما أنَّها تتسم بالنسبية من جهة تعدد مستويات هذه الأبنية وتدرجها في النص الواحد, وعلاقة كلّ بنية بما تسبقها وبما تليها, وهي تحقق التماسك الكلي)) [١٧], وأخيراً عَدَّ "فان دايك" البنية الكبرى افتراضاً يحتاج إلى وسائل ملموسة توضّحه وتجعله مقبولاً, وقد وَجَدَ أنَّ موضوع النص من تلك الوسائل[١٨](*) على أنَّ بعض الباحثين لا يرى فروقاً بين مفهومي البنية الكبرى وموضوع النص[١٩].

وثمّة مفهوم آخر يتعلق بالبنية الكبرى للنص هو مفهوم التغريض الذي يشير ((إلى الكلمات الوظيفية الموجودة في النص التي تحيل إلى البنية الكليّة))[٢٠] ؛ ((وذلك مثل: العناوين الرئيسة, والعناوين الفرعيّة)) [٢١], وهذا يعني أنَّ ((مفهوم التغريض ذو علاقة وثيقة مع موضوع الخطاب ومع عنوان النص)) [٢٢], و"فان دايك" هو الذي جعل عنوان النص جزء من البنية الكبرى, ليساعد المتلقي على فهم النص وإدراك ما يتحدَّث عنه[٢٣], وبذلك ((لم يعد العنوان مجرد تسمية لمكتوب يعرف به ويحيل إليه, لقد أصبح حلقة أساسية ضمن حلقات البناء الاستراتيجي للنص)) [٢٤].

2. مظاهر البنية الكبرى في علوم القرآن وتفسيره

رَصَدَ محمد خطابي بعض مظاهر البنية الكبرى أو موضوع النص – خاصة الموضوعات الفرعية – لدى بعض المفسرين – الرازي والزمخشري وابن عاشور – [٢٥], على الرغم من قوله: ((ينبغي التنبيه إلى أنَّ المفسّرين لم يشيروا إلى وجود موضوع خطابي بهذه الصيغة ؛

ولكن تحليلاتهم وتفسيراتهم تكشف عن وجود مثل هذا المفهوم في أذهانهم وهم يمارسون التفسير))[٢٦].

فإنْ كان مفهوم البنية الكبرى وموضع النص يؤديان إلى معنى واحد تقريباً, وإنْ كان النص – خاصة النصوص الطويلة – يتضمن بنية كبرى كليَّة بوصفه كلّاً متحداً, ويتضمن – أيضاً – بنى كبرى جزئية تتعلق بمقاطع أو أجزاء من النص الكلي تصبُّ في موضوعه العام وتعضّده, فإنْ صَحَّ ذلك فإنَّه يمكن أنْ يكون مقدمة لرصد بعض مظاهرهما في كتب علوم القرآن وتفسيره على مستويين:

الأول: مظاهر البنية الكبرى الكليّة/ موضوع النص على المستوى الأكبر – أي على امتداد آيات القرآن الكريم وسوره من أوله إلى آخره.

والثاني: مظاهر البنية الكبرى الجزئية / موضوع النص على المستوى الأصغر – أي على امتداد بعض الآيات أو السور.

1.2. مظاهر البنية الكبرى الكلية

يمكن تلمس بعض مظاهر البنية الكبرى الكليَّة أو البنية الكبرى الجزئية في كلام بعض المفسرين حول ((المعاني والعلوم التي تضمنها القرآن)) [٢٧], وهي – أيضاً – من ما يرتبط بمقصوده أو بموضوعه الكلي, أو موضوعاته الفرعيّة أو الجزئية, فقال: ((لنتكلمْ في ذلك على الجملة والتفصيل ؛ أمّا الجملة: فاعلمْ أنَّ المقصود بالقرآن دعوة الخلق إلى عبادة الله, وإلى الدخول في دينه, ثمَّ إنَّ هذا المقصد يقتضي أمرين لابدَّ منهما, وإليهما ترجع معاني القرآن كلّه: أحدهما بيان العبادة التي دُعيَ الخلق إليها ؛ والأخرى ذكر بواعث تبعثهم على الدخول فيها وتردّدهم إليها, فأمّا العبادة فتنقسم على نوعين وهما: أصول العقائد وأحكام الأعمال ؛ وأمَّا البواعث عليها فأمرين وهما: الترغيب والترهيب ؛ وأمّا على التفصيل: فاعلم أنَّ معاني القرآن سبعة: هي علم الربوبيّة, والنبوّة, والمعاد, والأحكام, والوعد, والوعيد, والقصص)) [٢٨].

ويتبيَّن من ذلك أنَّ البنية الكبرى الكليّة للقرآن تتمثل في المقصود الكلي أو المعنى العام وهو دعوة الخلق إلى عبادة الله, ويقتضي ذلك بيان أمر العبادة الذي يتضمن أصول العقائد وأصول الأحكام , وكذلك بيان أمر البواعث التي تبعث عليها من الترغيب والترهيب هذا من جهة ؛ ومن جهة أخرى فإنّ البنية الكبرى الكليّة تتكون من بنى جزئية تتعاضد فيما بينها في إطار البنية الكليّة, وهذه البنى الجزئية تتمثل في معاني القرآن السبعة المذكورة آنفاً على التفصيل.

وقد ذكرت كتب علوم القرآن وتفسيره أنَّ معاني القرآن – المذكورة آنفاً – تضمنتها أو احتوت عليها سورة الفاتحة ؛ بل ((إنّها متضمّنة لمقاصد الكتب المنزلة من السماء كلّها))[٢٩],

((ولهذا المعنى صـــارت فاتحة الكتاب أمَّ الكتاب)) [٣٠], ((لأنّه يتفرع عنها كلُّ نبت)) [٣١], وما يتلوها من سـور ((القرآن تفصـيل لكلّ شـيء من الجوامع السـبع التي حوتها أمّ القرآن الحاوية لمصـالح الدارين)) [٣٢], ((ويشـهد لهذا تسـميتها أُمّ الكتاب, وأمّ الشـيء: أصـله ومجتمعه)) [٣٣], ((وهي أمُّ القرآن الجـامعة لجميع معـاني القرآن التي أمرنـا بـإعـادتهـا في كلّ ركعـة, زيـادة في حفظها, وتبركاً بلفظها, وتذكيراً لمعانيها ؛ تخصـيصـاً لها عن بقية الذكر)) [٣٤], وبذلك تميزت الفاتحة بأنها ((هي أم القرآن لكونها أصلاً ومنشأ له ؛ إمَّا لمبدئيتها له, وإمّا لاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله عزّ وجلَّ, والتعبد بأمره ونهيه, وبيان وعده ووعيده ؛ أو على جملة معانيه من الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الصراط المستقيم)) [٣٥]؛ وما يهمنا التركيز عليه – الآن – في كونها أم القرآن ((هو اشـتمالها على جملة معاني القرآن ... فهي أمّ القرآن لأنَّها له عنوان)) [٣٦].

إنَّ كون الفاتحة "أمّ القرآن" أو "عنوان القرآن" ينقلنا إلى ما ذكره السـيوطي حول الفاتحة من جهة, وحول الآيات الأولى من سـورة العلق من جهة أخرى ؛ وذلك ضـمن كلامه على ((براعة الاستهلال, وهو أنْ يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلّم فيه, ويشير إلى ما سَبَقَ الكلام لأجله, والعَلَمُ الأسنى في ذلك سورة الفاتحة التي هي مطلع القرآن فإنّها مشتملة على جميع مقاصـده)) [٣٧], وقد ((وجّهَ ذلك بأنَّ العلوم التي احتوى عليها القرآن ... أربعة: علم الأصول ومداره على معرفة الله وصفاته وإليه الإشارة بـ﴿**رَبِّ الْعَالَمِينَ ! الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ**﴾, ومعرفة النبوّات وإليه الإشارة بـ﴿**الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ**﴾, ومعرفة المعاد وإليه الإشارة بـ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾, وعلم العبادات وإليه الإشارة بـ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾, وعلم السلوك وهو حمل النفس على الآداب الشرعية والانقياد لربِّ البريّة وإليه الإشارة بـ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ! اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾, وعلم القصص وهو الإطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية, ليعلم المطلع على ذلك سعادة من أطاع الله وشقاوة من عصاه وإليه الإشارة بقوله: ﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُـوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّـالِّينَ**﴾, فنبَّه في الفاتحة على جميع مقاصـد القرآن)) [٣٨], هذا من جهة.

ومن جهة أخرى ذكر أنَّ الآيات الأولى من سورة العلق ((مشتملة على نظير ما اشتملت عليه الفاتحة من براعة الاستهلال لكونها أوّل ما أُنْزلَ من القرآن, فإنَّ فيها الأمر بالقراءة والبداءة فيها باسم الله, وفيه الإشارة إلى علم الأحكام ؛ وفيها ما يتعلق بتوحيد الربّ وإثباته ذاته وصفاته ؛

من صفة ذاتٍ, وصفة فعل, وفي هذه الإشارة إلى أصول الدين ؛ وفيها ما يتعلق بالإخبار من قوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥], ولهذا قيل: أنها جديرة أنْ تسمّى عنوان القرآن ؛ لأنَّ عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله)) [٣٩], ومضمون هذا الكلام ربّما يقتربُ من مفهوم "التغريض" الذي تتجلّى فيه ((العلاقة بين العنوان وموضوع الخطاب في كون الأول تعبيراً ممكناً عن الموضوع)) [٤٠].

وبناءً على ذلك يمكن أنْ يُعَدَّ مضمون سورة الفاتحة التي تقع في أول الكتاب ترتيباً ؛ ومضمون سورة العلق – خاصة آياتها الأولى – التي تقع في أول الكتاب نزولاً, وبناءً على أنَّ السورة الأخيرة مشتملة على نظير ما اشتملت عليه السورة الأولى – كما تقدَّم – وربّما يمكن – أيضاً – أنْ يُعدّ مضمون السورتين جواباً على أسئلة – على غرار الأسئلة التي أوردها "فان دايك"– مثل: عمَّ يتحدث القرآن ؟ ماذا كان موضوع الحديث ؟ فيكون الجواب بناء على ما وَرَدَ في مضمون السورتين المذكورتين, وهو أنَّ القرآن الكريم تحدَّث عن أصول الدين أي معرفة الله وصفاته, ومعرفة النبوّات, ومعرفة المعاد, وتحدَّث كذلك عن علم العبادات أو الأحكام, وعلم السلوك وما تضمنه من الأخلاق أو الآداب الشرعيّة, وعلم القصص المتضمن أخبار الأمم السابقة للاطلاع على سعادة المطيعين وشقاء العاصين.

ومن مظاهر البنية الكبرى الكلية ما أورده بعض المفسرين عند تناوله سورة الإخلاص ((التي كانت معادلة لثلث القرآن, وهي ثلث أيضاً باعتبار آخر, وهو أنَّ الدين: اعتقادٌ, وفعلٌ لساني يترجم عن الاعتقاد, وفعلٌ يصحّح ذلك, وهي وافية بأمر الاعتقاد بالوحدانية الذي هو رأس الاعتقاد, وباعتبار أنَّ مقاصده كلّها محصورةٌ في بيان العقائد والأحكام والقصص, وهذه السورة على وجازتها قد اشتملت على جميع المعارف الإلهية والردّ على مَنْ ألحد فيها, ولأجل أنَّ هذا هو المقصود بالذات الذي يتبعه جميع المقاصد, عُدِلَتْ في بعض الأقوال بجميع القرآن))[٤١].

2.2. مظاهر البنية الكبرى الجزئية

يمكن تلمس بعض مظاهر البنية الكبرى الجزئية أو موضوع النص على المستوى الأصغر في ما أورده بعض المفسرين حول خصائص الموضوعات التي تناولتها السور المكيّة والمدنيّة فقال: ((اعلمْ أنَّ السور المكيّة نزل أكثرها في إثبات العقائد والرد على المشركين وفي قصص الأنبياء, وأنّ السور المدنية نزلَ أكثرها في الأحكام الشرعيّة, وفي الرد على اليهود والنصارى, وذكر المنافقين, والفتوى في مسائل, وذكر غزوات النبي "صلى الله عليه وسلم"))[٤٢], ومن ذلك – أيضاً – ما وردَ على مستوى عدد من السور التي جاءت متتالية مترابطة في المعنى, كسور الحواميم "غافر, وفصِّلت, والشورى, والزخرف, والدخان, والجاثية, والاحقاف" حيث ((أنَّها نزلت متتاليات كترتيبها في المصحف)) [٤٣], التي تضمَّنت ((بيان حال

المعاندين والجاحدين))[٤٤] ؛ ((وذلك لإلفات التنبّه إلى الهيمنة الإلهية المطلقة, والإشـــارة إلى عظمة القرآن, وتقرير نزوله من عند الله, ووجود عالم الغيب والشهادة)) [٤٥].

ومن مظاهر البنية الكبرى الجزئية ما وردَ في تجرّد ســـورة واحدة لموضـــوع واحد أو غرض واحد, وقد بذل بعض المحدثين جهداً في البحث ((عمّا إذا كان هناك نوعاً من الترابط في الأفكار التي تناولتها السورة الواحدة)) [٤٦], وهذا يدخل – أيضـاً – ضمن البحث في توافر فكرة الاســتمرارية في النص – بحســب علم اللغة النصّــي –, وفي الحقيقة أن جهود الباحثين في علوم القرآن وتفسيره سبقت جهود المحدثين في هذا المنوال قبل مئات السنين, ومن ذلك ما وردَ في شـــأن (ســـورة فاطر) في كونها تجرَّدت لغرض واحد هو انفراده تبارك وتعالى بالملك والخلق والاختراع, وفي ذلك يقول أبو جعفر بن الزبير (ت٧٠٨هـ): ((تجرَّدت هذه الأخرى[٤٧] للتعريف بالاختراع والخلق, وشــهد لهذا اســتمرار آي ســورة فاطر على هذا الغرض من التعريف وتنبيهاً على الابتداءات كقوله تعالى: ﴿**جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُـــلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ ...**﴾ [فاطر: ١], وقوله: ﴿**مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِـــكَ لَهَا ... هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم**﴾ [فاطر: ٢-٣], وقوله: ﴿**أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُـوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَـنَاً...**﴾[فاطر: ٨], وقوله: ﴿ **وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَـلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً...**﴾ [فاطر: ٩], وقوله: ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ...**﴾ [فاطر: ١١], وقوله: ﴿ **يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ...**﴾ [فاطر: ١٣], وقوله: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّـمَاءِ مَاءً فَـأَخْرَجْنَـا بِـهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفـاً أَلْوَانُهَـا...**﴾ [فـاطر: ٢٧], وقولـه: ﴿ **هُوَ الَّـذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ...**﴾ [فاطر: ٣٩], وقوله: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُمْسِـكُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا...**﴾ [فاطر: ٤١]))[٤٨], وعلى هذا المنوال ما وردَ بشـأن سـورة النسـاء التي((تضـمنت أحكام الأسـباب التي بين الناس, وهي نوعان: مخلوقة لله, ومقدورة لهم, كالنسـب والصـهر, ولهذا افتتحت بقوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا...**﴾ [النســـاء: ١], ... حيث تضمنت الآية المفتتح بها ما في أكثر السورة من أحكام))[٤٩].

وبذلك يظهر الترابط في الأفكار أو وحدة الموضـوع في هذه السـور ليكون ذلك من مظاهر تلمس البنية الكبرى الجزئية التي شـــملت ســـورة واحدة ومظهراً من مظاهر اســـتمرارية المعنى كذلك.

ومن مظاهر البنية الكبرى الجزئية ((الذي استقريء من الأحاديث الصحيحة وغيرها ؛ أنَّ القرآن كان ينزلُ به جبريل على النبي "صـــلى الله عليه وســـلم " بحســـب الحاجة ؛ خمس آيات, وعشر آيات, وأكثر, وأقل)) [٥٠], وبذلك قد تُستَجْمَعُ عناصر موضوع واحد في آية واحدة أو آيات متعدِّدة, فيقال: هذه الآية – أو هذه الآيات –أجمع آية – أو أجمع آيات – وردت في هذا الموضوع,

ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ...**﴾[الأعراف: ١٩٩], التي نقل فيها قول الإمام ((جعفر الصادق: أمرَ اللهُ تعالى نبيَّهُ بمكارم الأخلاق, وليس في القرآن آية اجمع منها لمكارم الأخلاق)) (٥١), وكذلك ما وردَ في الآيات العشر الأولى من "سورة المؤمنون" بأنَّ ((هذه الآيات أجمع ما ذكر في وصف المؤمنين))(٥٢).

وقد يطول المقطع القرآني – الذي يتمحور حول موضوع معين – فيصل إلى ثمانين آية, ومن ذلك ما وردَ في سورة "آل عمران" – ((وأكثر ما فيها من خطاب أهل الكتاب للنصارى – فإنَّ ثمانين آية من أولها نازلة في وفد نصارى نجران كما ورد في سبب نزولها)) (٥٣).

ومما يُلحظ ؛ أنَّ الباحث في مظاهر البنى الكبرى الجزئية – التي تدل على الغرض أو المقصود في بعض المقاطع أو السور لدى بعض المفسرين – لا يجد تناقضاً أو تخالفاً بينها وبين بعضها بعضاً من جهة, أو بينها وبين البنية الكبرى الكلية – التي تدلّ على الغرض أو المقصود الكلي في القرآن الكريم – من جهة أخرى, بل يجد تعاضداً وتكاملاً بين البنى الكبرى الجزئية لتكوين البنية الكبرى الكلية , وقد تضمّن القرآن الكريم إشارات كثيرة إلى تعاضد آياته, وسوره وتكاملها منها قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ**﴾ [الزمر: ٢٣] ؛ ليكون ذلك صورة من صور الترابط النصّي في القرآن الكريم على المستوى الدلالي.

الخاتمة

وقد انتهى البحث إلى عدد من النتائج وكانت على النحو الآتي:

١. البنية الدلالية الكبرى:تتسم بدرجة قصوى من الانسجام أو التماسك أو الترابط الدلالي "Coherence" وتتضمن مستويين هما: المستوى الأكبر, ويتمثل في البنية الكبرى العامّة الشاملة للنص كلِّه, ويمكن تسميتها البنية الكبرى الكليّة, والمستوى الأصغر ويتمثل في البنية الكبرى الخاصّة بأجزاء أو مقاطع من النص, ويمكن تسميتها البنية الكبرى الجزئية ؛ والأبنية الكبرى ترتبط – أساساً – بالموضوع الكلِّي للنص, كما أنَّها تتسم بالنسبية من جهة تعدد مستوياتها وتدرّجها في النص الواحد, وتتسم بعلاقة كل بنية جزئية بما يسبقها وبما يليها لتحقق التماسك الكلي أو الترابط الدلالي في النص ؛ وثمة مفهوم يتعلق بالبنية الكبرى هو "التغريض" الذي يشير إلى كلمات وظيفية تحيل على البنية الكليَّة, وهذا يعني أنَّه ذو علاقة وثيقة مع عنوان النص أو مع موضوعه, لأنَّ من المصطلحات التي تجليها الأبنية الكبرى مصطلح "Topic", وقد يؤدّي مفهوم البنية

الكبرى وموضـــوع النص إلى معنى واحد تقريباً, هو غرض النص وقصـــده, وإذا كانَ النص – النصـــوص الطويلة بخاصـــة – يتضـــمن بنية كبرى كليَّة, تتكوَّن من بنى كبرى جزئيّة تتعلق بمقاطع من النص أو بأجزاء منه, تصـبُّ في موضـوعه العام وتعضّـده, فقد يمكِّن ذلك من رصد مظاهرهما في كتب علوم القرآن وتفسيره.

٢. يمكن تلمس بعض مظاهر البنية الكبرى الكليّة والجزئية في كلام بعض المفســـرين حول "المعاني والعلوم التي تضـــمّنها القرآن", وهي – أيضـــاً – ترتبط بموضـــوعه الكلي, وموضـــوعاته الجزئية, فتبيَّن أنَّ البنية الكليّة للقرآن تتمثل في المقصـــود الكلِّي أو المعنى العام وهو "دعوة الخلق إلى عبادة الله والدخول في دينه", على أنَّ هذه البنية الكليّة تتكون من بنى جزئية متعاضدة فيما بينها, تتمثل في معاني القرآن السبعة المذكورة في موضعها على التفصيل.

٣. ذكرت كتب علوم القرآن وتفسـيره, أنَّ معاني القرآن الكليّة احتوت عليها سـورة الفاتحة "فإنَّها مشتملة على جميع مقاصده" ؛ ولهذا صارت أمّ الكتاب, وأمّ القرآن, وما يتلوها من سور القرآن تفصيل لما حوته, وهي عنوان القرآن, وكذلك الآيات الأولى من سورة العلق مشـــتملة على نظير ما اشـــتملت عليه الفاتحة, "ولهذا قيل: أنَّها جديرة أنْ تســـمى عنوان القرآن ؛ لأنَّ عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله" ؛ وبناء على ذلك يمكن أن يُعَدَّ مضـمون "الفاتحة" – أول القرآن ترتيباً –, ومضـمون الآيات الأولى من سـورة "العلق" – أول القرآن نزولاً – جواباً على أســـئلة مثل: عمَّ يتحدَّث القرآن؟ أو ماذا كان الحديث فيه؟ ؛ فيكون الجواب هو: أنَّ القرآن تحدَّث عن أصول الدين والعبادات والأخلاق وقصص السابقين.

٤. ومن مظاهر البنية الكبرى الجزئية ما ورد في شـأن عددٍ من السـور, أو ما وردَ في تجرّد سورة واحدة لموضوع واحد, أو غرض واحد, وقد تأتي على مستوى آية واحدة, أو أكثر – قد تصـــل إلى ثمانين آية – لكونها تســـتجمع عناصـــر موضـــوع واحد, على أنَّ البنى الكبرى الجزئيـة تتعاضـــد معاً لتكوين البنيـة الكبرى الكليّـة التي تدلّ على الغرض أو المقصود الكلِّي للقرآن.

الهوامش

١. ينظر: المرايا المحدبة من البنيويّة إلى التفكيك: د. عبد العزيز حمودة: ٢١٩.

٢. مدخل أولي إلى علم النص, ضمن كتاب (العلاماتية وعلم النص): ١٤٨.

٣. علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: ٧٥.

٤. في نظرية الأدب وعلم النص: ٢٩٢.

٥. علم النص أسسه المعرفية وتجلياته النقدية (بحث): ١٥١.

٦. علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ١٢٧.

٧. بلاغة الخطاب وعلم النص: ٢٣٦-٢٣٧.

٨. البرهان في علوم القرآن: ١٣٢/١.

٩. التحليل اللغوي للنص: ٧٨-٧٩.

١٠. ينظر: علم النص مدخل متداخل الأختصاصات: (هامش المترجم): ٢٠٨ .

١١. علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: ٧٤.

١٢. بلاغة الخطاب وعلم النص: ٢٣٥-٢٣٦.

١٣. علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: ٧٦.

١٤. المصدر نفسه: ٧٦.

١٥. علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: ٧٩.

١٦. بلاغة الخطاب وعلم النص: ٢٤١.

١٧. علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ١٢٧.

١٨. ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص: ٢٣٨ , وينظر: العلاماتية وعلم النص: ١٦٠.

(*) ثمة وسائل أخرى لدى "فان دايك" للوصول إلى البنية الكبرى تتمثل في ((الحذف والاختيار والتعميم والتركيب أو البناء)) أعرضنا عنها لأنها لا تتناسب مع قداسة النص القرآني الكريم وقد وضعها "فان دايك" أساساً للوصول إلى البنية الكبرى للرواية . ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص: ٢٣٨ , وينظر: العلاماتية وعلم النص: ١٦٠.

١٩. ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٤٦.

٢٠. لسانيات النص النظرية والتطبيق: ١٥٧.

٢١. علم النص أسسه المعرفية وتجلياته النقدية (بحث): ١٥٦.

٢٢. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٩٣.

٢٣. ينظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات : ٨٨.

٢٤. لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري: احمد مداس: ٤١.

٢٥. ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٨٠-١٨٣.

٢٦. المصدر نفسه: ١٨٠.

٢٧. التسهيل لعلوم التنزيل: ٨/١.

٢٨. التسهيل لعلوم التنزيل: ٨/١.

٢٩. تفسير الفاتحة: ٤١.

٣٠. البرهان في علوم القرآن: ١١١/١.

٣١. المصدر نفسه: ١١١/١.

٣٢. نظم الدرر: ٣٢٨/٧.

٣٣. تفسير الفاتحة : ٤٢.

٣٤. نظم الدرر : ٨٧/١١.

٣٥. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ٨/١ .

٣٦. نظم الدرر: ٤٧/١.

٣٧. الإتقان في علوم القرآن: ٢٥٨/٣ , وينظر: أسرار ترتيب القرآن: ٧٣.

٣٨. الإتقان في علوم القرآن: ٢٥٨/٣ , وينظر: أسرار ترتيب القرآن: ٧٤-٧٥.

٣٩. الإتقان في علوم القرآن: ٢٥٨/٣.

٤٠. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٣٩ , وينظر: تحليل الخطاب: ١٣٩.

٤١. نظم الدرر: ٣٨٥/٢٢-٣٨٦.

٤٢. التسهيل لعلوم التنزيل: ٨/١.

٤٣. أسرار ترتيب القرآن: ١٣٠.

٤٤. البرهان في ترتيب سور القرآن: ٢٩٨.

٤٥. التحدي والمعاجزة بالحروف المقطّعة: ٣٩.

٤٦. مدخل إلى القرآن الكريم: ١١٩.

٤٧. يقصد (سورة فاطر).

٤٨. البرهان في ترتيب سور القرآن: ٢٨٦.

٤٩. أسرار ترتيب القرآن: ٧٦-٧٧.

٥٠. المدخل لدراسة القرآن الكريم: ٨٢.

٥١. البحر المحيط: ٤٤٥/٤ , نظم الدرر: ٢٠٣/٨.

٥٢. نظم الدرر: ١١٠/١٣.

٥٣. أسرار ترتيب القرآن: ٨٢ , وينظر: تفسير القرآن العظيم: ٤٠/٢.

المصادر

القرآن الكريم

- الإتقان في علوم القرآن: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ), تحقيق: عبد الرحمن فهمي الزواوي, دار الغد الجديد, القاهرة, ط١, (١٤٢٧هـ-٢٠١٦م).
- أسرار ترتيب القرآن: الحافظ جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ), تحقيق: عبد القادر احمد عطا, دار الاعتصام, ط٢, (١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م).
- البرهان في ترتيب سور القرآن, أبو جعفر احمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت٧٠٨هـ), تحقيق: محمد شعباني, وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب, (١٤١٠هـ-١٩٩٠م).
- البرهان في علوم القرآن: الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ), تحقيق: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي, والشيخ جمال حمدي الذهبي, والشيخ إبراهيم عبد الله الكردي, دار المعرفة, بيروت – لبنان, ط١, (١٤١٠هـ-١٩٩٠م).
- بلاغة الخطاب وعلم النص: د. صلاح فضل, عالم المعرفة, المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب, الكويت, (صفر ١٤١٣هـ-اغسطس١٩٩٢م).

- التحدي والمعاجزة بالحروف المقطّعة: أ.د. مشـــكور كاظم العوادي, دار الغدير, قم – إيران, ط١, (١٤٣٨هـ-٢٠١٦م).
- تحليل الخطاب: ج. ب. براون , ج. يول, ترجمة وتعليق: د. محمد لطفي الزليطني, د. منير التريكي, جامعة الملك سعود, (١٤١٨هـ-١٩٩٧م).
- التحليل اللغوي للنص, مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج, كلاوس برينكر, ترجمه ومهَّد له وعلَّق عليه: أ.د. سعيد حسن بحيري, مؤسسة المختار للنشر والتوزيع, القاهرة, ط٢, (١٤٣١هـ-٢٠١٠).
- التسـهيل لعلوم التنزيل: الشـيخ الإمام العلامة المفسِّـر أبي القاسـم محمد بن احمد جزي الكلبي (ت٧٤١هـــ), ضـبطه وصـححه وخرّج آياته: محمد سـالم هاشـم, دار الكتب العلمية, بيروت – لبنان, ط١ , (١٤١٥هـ-١٩٩٥م).
- تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب, لقاضي القضاة أبي السعود بن محمد العمادي الحنفي (ت٩٨٢هـــ), تحقيق: عبد القادر احمد عطا, مكتبة الرياض الحديثة بالرياض, (١٣٩١هـ/١٩٧١م).
- تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ), دراسة وتحقيق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود, الشيخ علي محمد معوض, شارك في تحقيقه: د. زكريا عبد المجيد النوتي, د. احمد النجولي الجمل, قرَّضه, أ.د. عبد الحي الفرماوي, دار الكتب العلميّة, بيروت – لبنان, ط١, (١٤١٣هـ-١٩٩٣م).
- تفســير الفاتحة: الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الدمشــقي الحنبلي (ت٧٩٥هـــ), تحقيق: ســامي بن محمد بن جاد الله, دار المحدّث للنشــر, الرياض – المملكة العربية السعودية, ط١, (جمادي الثانية, ١٤٢٧هـ).
- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـــ), تحقيق: محمد حسين شمس الدين, دار الكتب العلمية, منشورات محمد علي بيضون, بيروت – لبنان, ط١, (١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
- العلاماتية وعلم النص, إعداد وترجمة: د. منذر عياشـي, مركز الإنماء الحضـاري, دار المحبّة, حلب/دمشق- سورية, (١٤٢٩هـ-٢٠٠٩م).
- علم النص أسـسـه المعرفيَّة وتجلياته النقدية, د. جميل عبد المجيد حسـين, بحث منشـور في "عـالم الفكر", (مجلـة), تصـــدر عن المجلس الوطني للثقـافـة والفنون والآداب, الكويت, المجلد (٣٢), العدد (٢), (أكتوبر – ديسمبر ٢٠٠٣م).
- علم النص, مدخل متداخل الاختصاصات, تون أ. فان دايك, ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري, دار القاهرة للكتاب, جمهورية مصر العربية, ط١, (١٤٢١هـ-٢٠٠١م).
- علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات, د. ســعيد حســن بحيري, مكتبة لبنان ناشــرون, الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان, مصر, ط١, (١٩٩٧م).
- في نظريـة الأدب وعلم النص, إبراهيم خليل, منشــورات الاختلاف, الجزائر, الدار العربية للعلوم ناشرون, بيروت – لبنان, ط١, (١٤٣١هـ-٢٠١٠م).

- لســـانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشـــعري, د. احمد مداس, جدارا للكتاب العالمي, عمّان, عالم الكتب الحديث, اربد – الأردن, ط٢, (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).
- لســـانيات النص, النظرية والتطبيق – مقامات الهمذاني أنموذجاً –, ليندة قيَّاس, مكتبة الآداب, القاهرة, ط١, (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).
- لسـانيات النص, مدخل إلى انسـجام الخطاب, د. محمد خطابي, المركز الثقافي العربي, الدار البيضاء – المغرب, ط٣, (٢٠١٢م).
- مـدخـل إلى القرآن الكريم, د. محمـد عبـد الله دراز, ترجمـة: محمـد عبـد العظيم علي, مراجعة السيد محمد بدوي, دار القلم, الكويت, (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).
- المرايا المحدّبة من البنيوية إلى التفكيك, د. عبد العزيز حمودة, عالم المعرفة, المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب, الكويت, (ابريل ١٩٩٨م).
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: الإمام المفسِّر برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ), دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة, (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).